﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

الانتقال مِن بيان البشارة إلى بيان النّبوّة

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ البشارةَ لزكريا ﷺ بولادة يحيى، وقد جعل اللّهُ له آيةً على ذلك، ووُلد له يحيى، جاءت هذه الآيةُ لاستكمال الحديثِ عن هذا المولود المبارك، وأنّه صار شخصًا سويًّا، يُخاطَب ويُنادَى مِن قِبَل ربّه بأمر النّبوّة، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾، ومن ثم فقد جاءت هذه الآيةُ للانتقال مِن حديث البُشرى إلى بيان النّبوّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِقُوَّةٖۖ﴾: (قوي) أَصْلٌ يَدُلُّ على شِدَّةٍ وخِلافِ ضَعْفٍ، القوَّةُ، والقَوِيُّ: خِلافُ الضَّعيفِ، وأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ القوَى، مِنْ قوَى الحَبْلِ[2]، والقوَّةُ: تستعمل تارةً في معنى القُدْرة، نحو قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: 63]، وتارةً للتّهيّؤ الموجود في الشّيء، والقوّة: الطّاقة مِنَ الحَبْل، وجمعُها قِوًى[3]، والقوّة تُستعمَل في البدن تارةً، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصّلت: 15]، وفي القلب تارةً، نحو قوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ أي: بقوّة قَلْب[4]، وتُطْلَق على المُعاوِن مِن خارج، نحو: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ [هود: 80]؛ والمعنى: ما أتقوى به مِنَ الجند، وما أتقوَّى به مِنَ المال، والمُراد بالقوّة في الآية: الجِدُّ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 178، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 75.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (قوا).
(4) الرّاغب، المفردات: (قوى).
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 259.

2) ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: (حكم) أَصْلٌ يدُلُّ على المَنْعِ، وسُمّيَتْ حَكَمَةُ الدّابَّةِ؛ لأَنَّها تَمنَعُها، يُقالُ: حَكَمتُ الدّابَّةَ وأَحْكَمتُها، ويُقالُ: حَكَمتُ السَّفيهَ وأَحْكَمتُهُ، إذا أَخَذْتَ على يَدَيْهِ، والحِكْمَةُ هَذا قياسُها، لأَنَّها تَمنَعُ مِنَ الجَهْلِ[1]، والحِكْمَةُ: عِبارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الأَشياء بأَفْضَلِ العُلوم، ويُقالُ لِمَنْ يُحْسِنُ دَقائِقَ الصِّناعات ويُتقنُها: حَكيمٌ، والحُكْمُ: العِلْمُ والفِقْهُ؛ قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، أَي: عِلْمًا وفِقْهًا[2]، والمراد بالحُكْم في الآية الكريمة: الحِكمةُ وفهمُ التّوراةِ، والفقهُ في الدّين[3].

3) ﴿صَبِيًّا﴾: (صبى) أصلٌ يَدُلُّ على صِغَرِ السِّنِّ، واحِدُ الصِّبْيَةِ والصِّبْيانِ، ورَأَيْتُهُ في صِباهُ، أَيْ: صِغَرِهِ[4]، والصّبيُّ: الغُلام[5]، وهو مَن لم يبلغِ الحُلُمَ[6]، الصَّبْوَة: جَهْلَةُ الفُتوَّةِ واللَّهْوِ مِنَ الغَزَل، ومِنْهُ التَّصابي والصِّبا، صَبا صَبْوًا، وصُبوًّا، وصِبًى، وصَباءً، يُقالُ: رأَيتُه في صِباهُ، أَي: في صِغَرِه[7].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

بلوغُ يحيى وتلقيهُ الحِكْمَةَ منذ الصّغر

في هذه الآية يخبر اللّهُ تعالى أنّه لمّا وُلِدَ يحيى عليه السلام، وبلغ مبلغًا يفهم فيه الخطابَ، أمره اللّهُ أن يأخذ التّوراةَ - التي هي نعمة اللّه على بني إسرائيل - بجِدٍّ واجتهاد، وحرصٍ على العمل بها؛ بحفظِ ألفاظِها، وفَهْمِ معانيها، والعملِ بها، وأعطيناه الحكمةَ والفِقهَ في الدّين، والإقبالَ على الخير، وهو صغيرٌ صبيٌّ حديثُ السّنِّ[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حكم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (حكم).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 259.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبى).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (صبا).
(6) الرّاغب، المفردات: (صبا).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (صبا).
(8) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 38 - 39، وجماعة مِنَ العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 306.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فصْلِ هذه الآية عمّا قبلَها:

التّعجيل بمآل التّبشيرِ؛ لإنجاز وعدِ الله

فصَل النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾؛ لأنّها مستأنَفَة، وقد طويَ قبلَها جملٌ كثيرةٌ تقتضيها أحداثُ القصّة، وإنّما استأنفَ النّظمُ بهذه الجملة؛ للمسارعة "إلى الإنباء بإنجاز الوعد الكريم، وهو وجود هذا الغلام المُبَشَّر به، وتعليمُه التّوراةَ التي كانوا يتدارسونها بينَهم، ويَحْكُمُ بها النّبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والرّبانيون والأحبار، وقد كان سِنّهُ إذ ذاكَ صغيرًا، فلهذا نَوّه بذِكْره، وبما أنعم عليه وعلى والِدَيه"[1].

دلالة النّداء في: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾:

التّنبيهُ على خطورة الأمر وأهمّيّتِه

افْتُتِحَ الخطابُ الإلهيُّ بحرف النّداء عند تكليف يحيى بأخذ الكتاب، في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ لما في حرف النّداء مِن تنبيهٍ على أهميّة مضمون الخطاب الذي سيُتلَى؛ ليكونَ السّامعُ في الحالة التي تُناسِب أهميّةَ المَتلوّ، فالمراد مِنَ النّداء التّنبيهُ على خطورة الآتي وأهميّتُه، وفيه إشارةٌ إلى إعلاء قدر يحيى عليه السلام وتشريفه، وأنّه بلغ مبلغَ الرّشْد، واستوت شخصيتُه الإنسانيّةُ، تأهيلًا لأمر النّبوّة، وهذا أمرٌ خارقٌ للعادة.

دلالةُ النّداء باسمه (يحيى):

إعلان لمَحَبّته وتقريبه، وتسليَةٌ لأبيه باستجابة دُعائِه

نادى اللّهُ تعالى يحيى عليه السلام باسمه الذي سَمّاه به في قوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مريم: 7]، وذلك مِن باب إعلان مَحَبّته وتقريبه عليه السلام، وفيه تسليَةٌ لزكريا عليه السلام باستجابة اللّه تعالى لدُعائِه بأن يكون له ولدٌ يَرِث النّبوّة؛ فقال له: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾.

سِرّ التّعبير بالأخذ في: ﴿خُذِ﴾:

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبير بالأخذ في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 88.

بِقُوَّةٍۖ﴾؛ لأنّ الأخذ هو حَوْزُ الشّيء وتحصيلُه، وهو على نوعين: أخذٌ حِسّيٌّ وأخذٌ معنويٌّ، وهو المُراد هنا، يقال: أخذتُ العِلْمَ عن فُلان؛ لأنّ مَن يعتني بالشّيء يُشْبِهُ آخِذَه[1]، فجاء التّعبير بالأخذ تنبيهًا على أن تكون تعاليمُ الكتاب ثابتةً في سلوك المخاطَب، والمراد: القيام بما في الكتاب كما ينبغي، وذلك بتحصيل مَلَكةٍ تقتضي سهولةَ الإقدام على المأمور به، والإحجام عنِ المَنهيّ عنه، وفيه دعوةٌ إلى شِدّة الحِرْص على الالتزام بالتّعاليم المَذكورة في التّوراة على وجهها الصّحيح؛ فيُعمَل بما فيها من كلّ النّواحي، في جانب العقائد والأخلاق والحلال والحرام.

تنبيهًا على أن تكون تعاليمُ الكتاب ثابتةً في سلوك المخاطَبِ

دلالةُ الأمرِ في: ﴿خُذِ﴾:

استعمل النّظمُ الجليل فعلَ الأمر ﴿خُذِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ للدّلالة على وجوب التّفهّم والتّدبّر والتّمسّك بتعاليم الكتاب، كأَخْذِ الشّيء اعتناءً.

شِدّةُ الحِرْص على تعاليم الكتاب

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

عرّف النّظمُ الجليلُ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بالألف واللّام، في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ للدّلالة على العهد، فهو كتابٌ معلومٌ لا يختلط بغيره، وهو التّوراة؛ حيثُ لم يكن في زمان يحيى كتابٌ غيره، كما لم ينزل على يحيى كتابٌ يختصّ به[2]، وممّا يُؤَكّد ذلك أنّ يحيى عليه السلام وُلِدَ قبل عيسى عليه السلام، ولم يكن الإنجيل موجودًا.

التّوراةِ، هي كتابهم المعهود

سِرُّ التّعبير بـ: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

عبّر القرآنُ الكريمُ بلفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ولم يقل: (خذ التّوراة)، مع أنّها هي المُرادة؛ للدّلالة على ثبوت الكتاب شريعةً لبني إسرائيل، مع تَعَدّد الأنبياء والمُرسلين، ولا سيَّما

الدّلالة على ثبوت الكتاب شريعةً لبني إسرائيل، مع تَعَدّد الأنبياء والمُرسلين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 75.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 75.

وأنّ التّوراة هي كتاب موسى ﷺ، وللإشارة إلى التّفريق بينَ التّوراة والمواعظ التي كانت عند أنبياء بني إسرائيل.

سِرّ التّعبيرِ بالقوّة:

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالقوّة في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ دونَ الشّدّة؛ لوجود فرق بينهما؛ فالشّدّة تعني الصّلابةَ، وهي نقيضُ اللّين، وتُستعمَل مبالغةً في وصفِ الشّيء في صلابته، وليس ذلك من قبيل القُدْرة، بخلاف القوّة فهي خِلاف الضّعف، وتستعمَل في معنى القُدرة، وللتّهيّؤ الموجود في الشّيء، وتكون في البدن تارةً وفي القلب أخرى، وفي المعاون مِن خارجٍ تارةً؛ فاستعمالُها في البدن نحو: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصّلت: 15]، وفي القلب نحو: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾، وهذا هو المراد هنا؛ لذلك عبّر بالقوّة دونَ الشّدّة التي تؤدّي إلى أخذ الكتاب بجِدٍّ واجتهادٍ، ولا يتأتّى ذلك مِن لفظ الشّدّة[1].

القوّة: خِلاف الضّعف، وتأتي بمعنى القُدرة، والشّدّة: الصّلابة، وهي نقيضُ اللّين

دلالةُ التّعبيرِ بشبه الجملة: ﴿بِقُوَّةٍ﴾:

جاء حرفُ الباء في النَّظم الجليل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ - وهو هنا دالٌّ على الملابسة - أي: خذ الكتاب أخذًا تلابِسُه القوّة والتّمكّن، بأن يثبت على تعاليم الكتاب وشريعته، ويعملَ بمقتضاها، ويدعو الأُمّةَ إلى اتّباعه؛ إذ إنّ ضَعف الدّين أخذ يتطرّق إلى أُمّة اليهود في ذلك الأوان[2]، وفيه إشارةٌ إلى أنّ حفظ التّوراة والعملَ بما فيها مِن مهامِّ أنبياءِ بني إسرائيل.

تَلَبّس يحيى ﷺ بتعاليم الكتاب، والعمل بما فيه

دلالةُ التّنكير في: ﴿بِقُوَّةٍ﴾:

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بوصف القوّة منكّرًا في قوله تعالى: ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ للدّلالة على تعظيمها وتفخيمها؛ حيثُ جمعت بين قوّة البدن وقوّة القلب، وهو المناسب في حَقّ الأنبياء عمومًا في الالتزام

التّنكير للتّعظيم والتّفخيم؛ ولجَمعِه بين قوّة البدن وقوّة القلب

(1) الرّاغب، المفردات: (قوى).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 75.

بأوامر الله وطاعته، وفي حَقّ يحيى ﷺ خصوصًا؛ لأنّ الجِدّ وقوّةَ العَزْم في القيام بتعاليم الكتاب يهذّب النّفس ويُزكّيها، والتّهاوُنَ فيها يُضْعِف النّفسَ ويُغويها، والضّعفُ منفيٌّ عنِ الأنبياء والمرسلين؛ لأنّهم يبذلون الجهدَ فوقَ طاقتهم؛ طلبًا لرضا الله تعالى.

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

الإعلامُ بمغايرة إيتاءِ الحُكم عن أخذ الكتاب

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾، على الفعل المحذوف المقدّر بـ (قلنا)[1] في قوله جلّ شأنه: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾، أي قلنا: يا يحيى خذ الكتاب وآتيناه الحكم[2]، والعطفُ بالواو يقتضي المغايرةَ، وهذا يُشير إلى أنّ الحُكم الذي آتاهُ اللّهُ تعالى إيّاهُ ليس الكتابَ أو الأخذَ به، بل هو نعمةٌ أُخرى أنعمَ اللّهُ تعالى بها عليه.

سِرُّ التّعبيرِ بالإيتاء:

الإيـتـاءُ أدلّ في إيتاء الحُكم مِنَ الإعطاء

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإيتاء في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ دونَ الإعطاء؛ لما في الإيتاء مِن قوّةٍ في الدّلالة؛ فهو أقوى مِنَ الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنّ الإعطاء له مُطاوِع يقال: أعطاني فعَطَوْتُ، ولا يقال في الإتيان أتاني فأتيتُ[3]، ويُلْحَظ أنّ الإيتاء يُستعمل في ما كان كثيرًا عظيمَ الشّأن، كقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر: 87]، وقد خُصّ دفعُ الصّدقةِ في القرآن بالإيتاء[4]، فآثر النّظمُ الإيتاء هنا؛ لأنّه يتعلّق بأمر عظيم، وهو الحُكم سواءٌ أُريدَ به النّبوّةُ أو الحكمة، فكلاهما أمرٌ عظيم ناسبَه التّعبير بالإتيان.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 392.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 76.
(3) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(4) الرّاغب، المفردات: (أتى).

دلالةُ التّعبير بالماضي ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

عبّر القرآنُ الكريم بالفعل الماضي ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ دون المضارع للدّلالة على أنّ أمرَ إيتاءِ الحُكم مُقَدّرٌ أزلًا، وما ذكره القرآنُ هنا هو إظهارٌ لما قَدّره اللّهُ في اللّوح المحفوظ.

أمرُ إيتاءِ الحُكمِ ليحيى عليه السلام مُقَدّرٌ أزلًا

دلالةُ نونِ العَظَمة في: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

أسند النّظمُ الجليلُ الفعل إلى نون التّعظيم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾؛ لأنّ إيتاءَ الحُكم لا يكون إلّا مِنَ الله تعالى عظيمِ الشّأنِ، "ولمّا كانتِ النّبوّةُ لا يُستضلَعُ بأمرها، ويُقْوَى على حَملِها، إلّا عندَ استحكام العقلِ ببلوغ الأَشُدّ، وكان التّطويقُ على أمرها قبل ذلك مِنَ العَظَمة بمكانٍ، دَلّ عليه النّون في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ بما لنا مِنَ العَظَمة"[1].

عَظَمةُ الحُكم لعَظَمة مُؤتيه

سِرّ التّعبير بـ﴿ٱلۡحُكۡمَ﴾:

آثَرَ النظمُ القرآنيُّ التّعبيرَ بالحُكم دونَ الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾؛ لتَعَدّد المُراد بالحُكم؛ حيثُ يُطلَق على الحِكمة وعلى النّبوّة، وعلى الأحكام والمعرفة بها؛ أو لأنّ الله أحكم عقلَ يحيى عليه السلام في صباه وأوحى إليه[2].

دلالة التّعريفِ في: ﴿ٱلۡحُكۡمَ﴾:

عرّف النّظمُ الجليلُ ﴿ٱلۡحُكۡمَ﴾ بالألف واللّام في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ للدّلالة على جنس الحُكم، وفي ذلك مبالغةٌ في الحِكمة التي أوتيها؛ لأنّها حكمةٌ أُعطيَت له مِنَ الله تعالى، وليست مكتسبةً مِن طول حياة، فأعطاه عليه السلام الحِكمةَ كلَّها منذ صِغَره، وهذا مِن تمام الإنعام به على أبويه، فلم يُعطهم سؤالَهم وحسب، بل جعلَه في الغاية القصوى مِنَ الخير والمعرفة وحُسْن الخُلق.

تعظيم الحُكم وشمولُه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 178.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 9/ 583.

دلالة التّعبير بـ: ﴿صَبِيًّا﴾:

نبوغُ الفِكْر والمعرفة في عُمُر الصّبا بفضلٍ مِنَ الله تعالى

عبّر النّظمُ الجليل عن إيتاء يحيى ﷺ الحُكمَ وهو في عُمُر الصّبا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، دونَ التّعبير بقوله: (صغيرًا)؛ تعجيلًا بإكرامه ﷺ، لما عَلِم اللّهُ تعالى مِن أنّه سيكون شهيدًا في مقتَبَلِ عُمُرِه، وذلك يقتضي أنّه قد نال بفضل الله تعالى عليه الاستقامةَ في الفِكْر، والقوّةَ في إدراك الحقائقِ في عُمُرٍ مُبَكّرٍ على غير المُعتاد[1]، ولما فيه مِن صفة المَدح؛ بخِلاف لفظ (الصّغير)؛ فقد يُلْمَح منه معنًى لا يتوافق ومقامَ النّبوّة؛ لأنّ الصّغَرَ يقابله الكِبَر.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القوّةُ والشِّدَّةُ:

الشّدّة صلابةٌ، خِلافُ اللّين، والقوّة خِلافُ الضّعف، ومَقرّها البدنُ والقلبُ

الشِّدَّةُ الصَّلابةُ، وهيَ نَقيضُ اللّين، وتَكونُ في الجَواهِرِ والأَعراض[2]، وهي في الأَصْل مُبالغَةٌ في وصْف الشَّيْءِ بالصّلابة، ولَيْسَ هوَ من قبيل القُدْرَة؛ ولِهَذا لا يُقال لله تعالى: شَديد[3] صِفةً مُجَرّدةً، وإلّا فقد ورد في القرآن وصفُ الله بشِدّة العقاب، قال تعالى: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: 3].

والقوّةُ: خِلافُ الضّعْف[4]، وهي تُستعمَل في البدن تارةً، وفي القَلْب تارةً، ومِنَ الذي في القلب قولُه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بقوّة قَلْب[5]، فالمُراد بالقوّة في الآية نقيضُ الضّعف؛ للدّلالة على الجِدّ والعَزم والاجتهاد، وليس الشّدّةَ نقيضَ اللّين، التي تعني: الصّلابةَ.

الإيتاءُ والإعطاءُ:

الإيتاءُ أبلغُ مِنَ الإعطاء مُجَرّدًا

النّاظِر في آيات القرآن الكريم يجد فرقًا بينَ الإيتاءِ والإعطاء؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 76.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (شدد).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 107.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).
(5) الرّاغب، المفردات: (قوى).

ذلك أنّ الإيتاء يُستعمَل في ما كان كثيرًا عظيمَ الشّأن، كالمُلك والحِكمة، والرّحمة، والقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 269]، وقولِه جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87].

أمّا الإعطاءُ فيُستعمَل في الشّيء القليل، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النّجم: 34]، فلم يَرِد العطاءُ دالًّا على الشّيء الكثير إلّا إذا وُجِدَ ما يَدُلّ على ذلك، كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 20]، فلِكَون العطاءِ منسوبًا لله تعالى دلّ ذلك على الكَثرة، وقولِه تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5]، ويُستعمَل العطاءُ في الأمر غيرِ المَحبوب للنّفس، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: 29].

وممّا يُذْكَر في الفرق بينهما ما قالَه الزّركشيُّ: "إنَّ الإتيان أقوى مِنَ الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنّ الإعطاء له مطاوع، يقال: أعطاني فعَطَوْتُ، ولا يقال في الإتيان: آتاني فأتيتُ، وإنّما يقال: آتاني فأخذت، والفعل الذي له مُطاوعٌ أضعفُ في إثبات مفعولِه مِنَ الذي لا مُطاوعَ له؛ لأنّك تقول: قطعتُه فانقطع، فيَدُلّ على أنّ فعل الفاعلِ كان موقوفًا على قَبول المَحلّ، لولاه لما ثبتَ المفعول؛ ولهذا يَصِحّ: قطعتُه فما انقطع، ولا يصحّ فيما لا مطاوعَ له ذلك، فلا يجوز أن يقال: ضربتُه فانضرب، أو ما انضرب، ولا: قتلتُه فانقتل، أو ما انقتل؛ لأنّ هذه الأفعال إذا صدرت مِنَ الفاعل ثبتَ لها المفعول في المَحلّ، والفاعل مُسْتَقِلّ بالأفعال التي لا مُطاوعَ لها، فالإيتاءُ إذًا أقوى مِنَ الإعطاء"[1]، وفي الآية: آثَرَ النّظمُ القرآنيّ التّعبيرَ بالإيتاء، لأنّ إيتاء الحُكم مِنَ النّعم التي لا تزول بمَرّ الزّمان.

(1) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 85.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»